عز وجل ـ من العلم، لاسيما في أعظم الأمور؛ وهو توحيد الله ـ عز وجل ؛ لقوله: «ومن أظلم ممن كتم شهدة عنده من الله ؟. -
هـ ومن فوائدها وأحكامها: أن من كتم ما علمه الله ـ عز وجل ؛ فإنه من أظلم الناس، وأظلم كتم للشهادة أن يكتم الإنسان ما أشهده ربه عليه.

6 ـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات كال علم الله ـ عز وجل - ومراقبته؛ لقوله ـ تعالى ـ: «وما الله يغفل عما تعملون . ـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات صفات النفي في حق الله، ولكن يجب أن نعلم أن النفي المحض في صفات الله لا يوجد؛ لأن النفي المحض عدم محض، والعدم ليس بشيء، ولكن لا توجد صفة منفية عن الله إلا تضمنها كالا؛ ولهذا نقول: كل صفة نفاها الله نفسه فإنها متضمنة لشيئين: أولها: نفي تلك الصفة المذكورة، وثانيها: إثبات كمال ضدها؛ فمثلا قال الله ـ تعالى ـ: * ولا يظلم ربك أحدا * [الكهف: ٤٩]؛ فنفى الظلم عن نفسه لماذا؟ لكال عدله ـ عز وجل ـ لا لعجزه عن الظلم، ولكن لكال عدله لم يظلم أحدا، وعلى هذا فقس.
عن

ثم قال ـ تعالى ـ: « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبنت ولا تشغلون عما كانوا يعملون ﴾ [البقرة: ١٤١].
وقد سبق نظيرها في الآية الرابعة والثلاثين بعد المئة، وتكلمنا على

سورة البقرة

٠١

ما فيها من أحكام، حسب ما فتح الله به علينا، ونكتفي بها سبق.

ثم قال تبارك وتعالى: «سيقول الشفهاء من الناس ما ولنهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط
مستقيم ﴾ [البقرة: ١٤٢].

.[١٣٠

السين في قوله: «سيقول * للتنفيس، وتفيد أمرين: الأمر الأول: تحقيق مدخولها.
الأمر الثاني: قرب وقوع مدخولها.
و الشفهاء » : جمع سفيه، وهو من جانب الرشد في تصرفاته القولية والفعلية، وفي عقيدته أيضا؛ لقوله تعالى : (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴾ [البقرة: 130].
ع
وما ولنهم عن قتلتهم التي كانوا عليها ، يعني: أي شيء ولاهم، أي: صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، والقبلة التي كانوا عليها هي بيت المقدس؛ فإنّ النبي ﷺ لما قدم المدينة، صار يتجه في صلاته إلى بيت المقدس نحو ستة عشر شهرا، أو سبعة عشر شهرا، ثم أمره الله ـ تعالى ـ أن يولي وجهه شطر المسجد الحرام، أي: الكعبة ـ كما سيأتي في الآيات إن شاء الله ـ فرد الله - سبحانه وتعالى ـ هذا الاعتراض من هؤلاء الشفهاء بقوله: «قل لله المشرق والمغرب»، أي: هو مالك المشرق والمغرب، وله
أن يتصرف في ملكه با يشاء، حسب ما تقتضيه حكمته البالغة.

٢

أحكام من القرآن الكريم

يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، ومن هداهم إلى الصراط هذه الأمة،

المستقيم
حيث هداهم إلى القبلة الأصلية، وهي الكعبة؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله ـ: إنّ الكعبة كانت قبلة الأنبياء، وإن حرف القبلة إلى بين المقدس كان من تصرف أتباع أولئك الأنبياء.

وعلى هذا فالصّراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه هنا، هو الاتجاه
إلى الكعبة المشرفة في الصلاة.
في هذه الآية من الحكم والفوائد ما يلي: ا- علم الله - سبحانه وتعالى ـ با سيكون؛ لقوله: «سيقول الشفهاء ، ومن المعلوم أن الله - سبحانه وتعالى ـ بكل شيء عليم، وأن علمه - سبحانه وتعالى ـ بالأشياء محيط بها جملة وتفصيلا، وعلمه -

سبحانه وتعالى ـ أزلي لم يسبق بجهل، أبدي لا يلحقه نسيان. ٢ـ أنه لا يعترض على شرع الله إلا

من كان سفيها؛ وذلك لأن السّفيه لا يعرف الحكمة، أو يعرفها ويسلك خلافها، ومن لا يعرف الشيء لا يرتضيه؛ لذلك سوف يعترضون على ما سيفعله الله ـ عز وجل -، بل على ما سيأمر الله به من الاتجاه إلى الكعبة. 3- أن النبي ﷺ كان يتجه ـ قبل أن يؤمر بالاتجاه إلى الكعبة ـ إلى بيت المقدس، قيل: لأنه كان يجب أن يوافق أهل الكتاب فيها لم يؤمر بخلافه؛ وهذا كان أول ما قدم النبي ﷺ المدينة، كان يحب أن يوافق ،

سورة البقـرة

أهل الكتاب فيها لم يؤمر بخلافه، ثم صار يأمر بمخالفة أهل الكتاب. ٤ـ عموم ملك الله - سبحانه وتعالى ـ لكل شيء: «قل لله الشرق والمغرب »، أي: هو المالك لكل شيء، وهو المتصرف فيها يشاء با يشاء ـ عز وجل ـ؛ على ما تقضيه حكمته البالغة.
هـ أن الهـداية بيد الله - عز وجل ـ، فهـو الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فلا تطلب الهداية إلا من الله - عز وجل ؛ وهذا ينفي الإعجاب بالنفس والافتخار بالعمل.
ولكن لو قال قائل: هل هداية الله سبحانه من يشاء بمجرد المشيئة، أم أنها مقرونة بالحكمة؟
فالجواب على ذلك أن نقول: بل هي مقرونة بالحكمة، وما من شيء يحكم الله به، إلا وهو مقرون بالحكمة، سواء كان ذلك الحكم الذي حكم الله به شرعيا أم كونيا؛ ودليل ذلك قوله - تبارك وتعالى -: « أليس الله بأحكم الحكمين ﴾ [التين: 8]، وقوله - تعالى -: « إنّ هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه، سبيلا * وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليمًا حكيمًا ﴾ [الإنسان: ٢٩، ٣٠]؛ فبين ـ سبحانه وتعالى ـ أن مشيئته تابعة لعلمه وحكمته.

وهداية الله سبحانه وتعالى نوعان:
هداية دلالة: وهذه عامة لكل أحد؛ للكفار والمؤمنين، والفجار والأبرار.

}

•

أحكام من القرآن الكريم

ع

وهداية توفيق: وهذه خاصة بمن وفقه الله - سبحانه وتعالى - لاتباع الحق؛ قال الله ـ تعالى ـ: « وكذالك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتب ولا الإيمن ولكن جعلته نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ﴾ [الشورى: ٥٢]؛ فهذه هي دلالة التوفيق وقال ـ تعالى ـ: وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ﴾ [الشورى: ٥٢]، وهذه هي الهداية العامة أو هداية الدلالة والإرشاد.

-

مثال الأولى العامة لكل أحد: قوله ـ تعالى ـ: « إنا هديته الشبيل إما شاكرا وإما كفورا ﴾ [الإنسان:3]، يعني: الإنسان، وقوله: (وأما ثمود فهدينهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ [فصلت:17]، أي: دللناهم على الصراط المستقيم، ولكنهم استحبوا العمى على الهدى. 6 ـ أن طريق الله ـ تعالى ـ مستقيم، ليس فيه اعوجاج ولا انحراف، وكون الله - سبحانه وتعالى ـ يصف طريقه بالصراط المستقيم، يدل على أن هذا الطريق واسع، ليس محجورا على أحد. بل كل من شاء من النّاس دخله، ويدل ـ أيضا ـ على أن هذا الطريق ليس فيه اعوجاج ولا انحراف، بل هو موصل إلى دار كرامة الله - سبحانه وتعالى ـ بدون انحراف، ولا تردد.

ثم قال الله ـ تعالى : (وكذلك جعلتكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها

ورة البقـرة

إلا لتعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمنتكم إن الله بالناس لرءوف
ج

3

رحيم ﴾ [البقرة:١٤٣].
وكذالك *: مثلا ذكر من هداية الله - سبحانه وتعالى ـ من يشاء إلى صراط مستقيم «جعلتكم أمة وسطا »: صيرناكم أمة وسطا، أي:
عدلًا خيارا.
والأئمة: هي الطائفة من الناس، وترد في القرآن على معان متعددة: منها: الطائفة من الناس؛ كما في هذه الآية. ومنها: الإمام؛ كما في قوله ـ تعالى ـ: « إن إبراهيم كان أمة قايتا لله

﴿ [النحل: ١٢٠]
ومنها: الدين؛ كما في قوله ـ تعالى ـ: * بل قالوا إنا وجدنا اباءنا على أمة ﴾ [الزخرف: ٢٢]، أي: على دين ومئة.
ومنها: الزمن؛ كما في قوله ـ تعالى ـ: * وقال الذي نجا منهما واذكر

-

بعد أمة * [يوسف:٤٥].
كيا
فهذه أربعة معان.
لتكونوا شهداء على الناس » أي: لتصيروا شهداء على الناس، على الأنبياء والرسل وعلى الأمم؛ فنحن آخر الأمم، نشهد على من سبقنا، فتشهد من سبقنا من الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ أنهم بلغوا رسالات ربهم، ونشهد على من سبقنا من أممهم أن الرسالة

أحكام من القرآن الكريم

بلغتهم، وأن منهم مكذبين، ومنهم مصدقين، وكذلك نكون شهداء على الناس يوم القيامة؛ كا جاء بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ ويكون الرسول عليكم شهيدا »:
الرسول ﷺ: هو محمد ﷺ؛ لأن (أل) هنا للعهد الذهني، ولا
معهود في الذهن حين نزول هذا القرآن من الرسل إلا محمد ﷺ عليكم شهيدا »: يشهد عليكم بأنه بلغ رسالة ربه؛ ولهذا لما خطب الناس يوم عرفة، قال: وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، قال: (اللهم اشهد) ثلاث مرات).
وما جعلنا القبلة التي كنت عليها»، أي: ما جعلنا القبلة التي كنت عليها، وهي استقبال بيت المقدس قبل أن يؤمر بالاتجاه إلى الكعبة . وإلا لتعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه »؛ وذلك أنه لا صرفت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، صار عند بعض الناس شك وارتياب، وربا ارتد عن الإسلام بسبب هذا التوجيه من الله ـ عز وجل ؛ يقول هذا الشاك المتردد: كيف تكون قبلته بالأمس بيت المقدس، وقبلته اليوم الكعبة؟
وقوله ـ تعالى ـ: «إلا لتعلم » هو عالم جل وعلا من قبل أن يحصل

(١) رواه مسلم كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم (١٢١٨).

سـورة البقـرة

هذا الاتباع والمخالفة، لكن المراد بالعلم هنا ـ وفيها يشبهه من الآيات الكريمة ـ: العلم الذي يترتب عليه الثواب والعقاب؛ وذلك أن علم الله ـ تعالى ـ السابق با يكون من عباده، لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب إلا بعد التكليف؛ إذا كلّفهم الله - عز وجل ـ، ترتب على هذا ـ
التكليف الثواب والعقاب؛ الثواب من وافق، والعقاب من خالف. ولا يظن الظان أن علم الله - سبحانه وتعالى ، ولا يكون إلا بعد وقوع المعلوم؛ فإن هذا ليس بصحيح؛ فإن الله - سبحانه وتعالى ـ عالم بكل شيء قبل أن يكون.

من يتبع الرسول ممن ينقلب» والرسول هنا هو محمد ﷺ؛ إذ لا رسول عهده سواه، ويحتمل أن تكون للعهد الذكري؛ لأنه سبق ذكر الرسول ﷺ، وإذا أنت «أل» داخلة على ما سبق ذكره، فإنهم يقولون: إنها للعهد الذكري؛ كما في قوله ـ تعالى ـ: كما أرسلنا إلى فرعون رسولًا و فعصى فرعون الرسول ﴾ [المزمل:15،16]. فالرسول هنا هو موسى ـ عليه السّلام ـ؛ لسبق ذكره.
«ممن ينقلب على عقبيه »؛ أي: يمن ينكض إلى الوراء، وذلك

بارتداده عن دين الإسلام، وعدم رضاه بما وقع. وإن كانت»، يعني: وإن كانت هذه الحال، أو هذه القضية. لكبيرة »: شاقة.
إلا على الذين هدى الله »؛ فإنّ الذين هداهم الله ووفقهم للحق

٥٠٨

أحكام من القرآن الكريم

ج
يسهل عليهم كل شيء في موافقة ما أمر الله به ورسوله، ولا تكون الأوامر كبيرة وشاقة إلا على من ضعف إيمانه. وما كان الله ليضيع إيمنكم ؟ هذا التعبير يدل على امتناع الشيء غاية الامتناع، أي: إذا جاءت (ما كان الله ليفعل كذا وكذا)، فهو ممتنع غاية الامتناع.
وقوله: «ليضيع إيمنكم »، أي: ما آمنتم به، ومنه صلاتهم إلى بيت المقدس سابقا؛ لأنه قد يقع في قلوب بعض الناس الإشكال عا سبق من الصلوات إلى بيت المقدس، هل تكون باطلة ـ لأن القبلة صرفت إلى الكعبة ـ أم لا؟ فبين الله - سبحانه وتعالى -: أن الله لا يضيع ذلك.
الله بالناس لرءوف رحيم الرءوف: مأخوذ من الرأفة، وهي أشد الرحمة، وألطف الرحمة، والرحيم: هو ذو الرحمة التي يكون بها الإحسان إلى خلقه، والإنعام عليهم.

وفي هذه الآية من الحكم والفوائد ما يلي: ١- بيان فضيلة هذه الأمة؛ لقوله: «وكذالك جعلنكم أمة وسطا
لتكونوا شهداء على الناس ؟ .
٢ـ أنّ هذه الأمة ذات شهادة على من سبقها من الأمم. ٣- تعديل الله - عز وجل ـ لهذه الأمة؛ حيث جعلهم شهداء على سائر الأمم، ولم يجعلهم الله - سبحانه وتعالى ـ شهداء إلا ليقبل شهادتهم.

سورة البقـرة

4- أن رسول الله ﷺ كان شهيدا على أمته، فهو شهيد عليهم ما دام فيهم، أما فيها بعد موته، فإنه تعرض عليه أعمال أمته و، كما جاء في بعض الأحاديث، فإذا صحت، فإنه يكون شهيدا عليهم في حال

حياته وبعد مماته، وإلا فإنه سيكون شهيدا عليهم يوم القيامة. هـ أنّ الله - سبحانه وتعالى ـ قد يبتلي العباد بشرع بعض الشرائع ونسخه؛ لقوله: (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لتعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه *

٦ـ أن علم الله - عز وجل ـ ينقسم إلى قسمين: علم يترتب عليه الثواب والعقاب، وهو ما يحصل بعد موافقة

العبد لأمر الله، أو مخالفته، وهو الذي يترتب عليه الثواب والعقاب. وعلم سابق: لا يترتب عليه الثواب والعقاب، وهو علم الله - تعالى ـ الثابت في الأزل قبل امتحان العبد، فعلمه ـ سبحانه وتعالى - يكون قبل وجود المعلوم، ويكون بعد وجود المعلوم، فالعلم الأول: لا يترتب عليه الثواب والعقاب، وهو المراد في هذه الآية وأشباهها. 7- الإشارة إلى أن اتباع رسول الله ﷺ هو الطريق الصحيح

(١) منها: قوله ﷺ: «أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة؛ فإن صلاتكم معروضة علي» رواه أحمد (١٥٧٢٩)، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة، رقم (١٠٤٧)، والنسائي، كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، رقم (١٣٧٤)، وابن ماجة، كتاب الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ، رقم (١٦٣٦).

أحكام من القرآن الكريم

السليم؛ لقوله ـ تعالى ـ: «إلا لتعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ؟.

فمثال
٨- ثبوت النسخ، أي: أن الله - سبحانه وتعالى ـ ينسخ من أحكامه ما يشاء. والنسخ هو: رفع الحكم السابق، فتارة يكون النسخ من بدل إلى بدل أخف منه، وتارة يكون من بدل إلى بدل أثقل منه، وتارة يكونُ من بدل إلى بدل مساو له، وتارة يكون إلى غير بدل: نسخ الحكم إلى بدل أشق منه: نسخ التخيير بين الصيام والإطعام في رمضان، إلى تعيين الصيام؛ فإن صيام رمضان ـ أول ما فرض ـ كان يخير فيه الإنسان بين أن يصوم أو يطعم؛ لقول الله ـ تبارك وتعالى -: * يتأيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون به أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ [البقرة:١٨٤،١٨٣]؛ فهذه الآية ظاهرة في التخيير بين الصيام والإطعام، وقد ثبت ذلك صريحا في الصحيحين» من حديث سلمة بن الأكوع: أن الصيام أول ما فرض كان يخير فيه الإنسان بين الإطعام والصيام، ثم نسخ هذا التخيير إلى وجوب الصيام عينا).
ج

١٨٣

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب: «فمن شهد منكم الشهر فليصمة رقم (٤٥٠٧)، ومسلم كتاب الصيام، باب بيان نسخ: « وعلى الذين يطيقونه فدية»، رقم (١١٤٥)..

سورة البقـرة

511

والحكمة في ذلك: هو أن الله - سبحانه وتعالى ـ إذا أراد أن يحكم حكما، وكان فيه شيء من المشقة على النفوس، بدأ ـ سبحانه وتعالى ـ بالأخف فالأخف، حتى ترتاح النفس، ويسهل عليها قبول الأشق أو
الأثقل.

-

ع

ومثال النسخ إلى بدل أخف منه: قوله ـ تبارك وتعالى ـ في آيتي المصابرة: (يأيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صبرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون * [الأنفال:65]، فجعل الله ـ تعالى ـ الصبر مشروطا بأن يقابل العشرون منا مئتين، وأن يقابل المئة منا ألفا من الذين كفروا، وهذا لا شك أن فيه مشقة، لكن الله - سبحانه وتعالى ـ لطف وخفف في قوله: « التين خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصبرين ﴾ [الأنفال:66]، فصار الصبر يتحقق في مقابلة الواحد لمثليه.

ج

ومثال النسخ إلى بدل مساو: ما نحن فيه الآن، نسخ استقبال بيت المقدس إلى استقبال الكعبة شرفها الله؛ فإن هذا البدل مساو للبدل الآخر بالنسبة للمكلّف؛ إذ لا فرق عند المكلف من حيث التعب البدني والمشقة البدنية بين أن يستقبل بيت المقدس، أو يستقبل الكعبة المشرفة. ومثال النسخ إلى غير بدل: ما أوجب الله - سبحانه وتعالى ـ على

المسلمين من الصدقة عند مناجاة النبي ﷺ؛ فإن الله أوجب على المسلمين إذا أرادوا أن يناجوا رسول الله ﷺ أن يتصدقوا)، ولكن الله ـ تعالى ـ خفف ذلك عنهم ونسخ هذا الوجوب. ولا شك أن النسخ قد يكون سببا لفتنة بعض الناس، وارتداده أو شكه، ولكن الحقيقة أن النسخ يدل دلالة واضحة على أن رسول الله ، رسول الله حقا، وأنه صادق فيما بلغ عن ربه، تبارك وتعالى. ثم إن في النسخ بيانا لحكمة الله - سبحانه وتعالى ـ في شرعه وأنه ـ جل وعلا ـ يتعبد عباده با شاء، على الوجه الذي يكون به صلاحهم. 9ـ أن النسخ يكون شاقا على كثير من النفوس، إلا على من هداهم الله؛ فإنه يكون يسيرا عليهم؛ لأنهم يعلمون أن هذا النسخ لم يصدر إلا عن حكمة بالغة، ولا يزيدهم النسخ إلا طمأنينة وثقة بشريعة الله سبحانه وتعالى؛ لقوله: «وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله » ١٠ـ لطف الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعباده؛

حيث لم يهـر ثواب الأعمال المنسوخة، ولم يضيع أجرها على من تعبد الله بها؛ لقوله:«وما كان الله ليضيع إيمانكم ؟.
١١ـ أن فيها دليلا لما ذهب إليه أهل الشئة والجاعة، من أنّ الأعمال داخلة في مسمى الإيمان؛ لقوله - تعالى -: «وما كان الله ليضيع

(١) كا في سورة المجادلة، آية: ١٢.

سورة البقرة

513

إيمانكم »، ووجه دخول الأعمال في مسمى الإيمان، أنها صادرة عن إيمان: فلولا الإيمان ما تعبد الناس الله - عز وجل ـ لولا إيان الناس بأن هذه شريعة الله، وأنه يثيب عليها، ما تعبدوا الله ـ تعالى ـ بها؛ ولهذا أطلق الله الإيمان هنا على الصلاة إلى بيت المقدس سابقا. ١٢ـ إثبات اسمين من أسماء الله، وهما: «الرؤوف» و«الرحيم»، وإثبات ما تضمّناه من صفة؛ فإنّ كل اسم من أسماء الله، فإنه متضمن لصفة من صفاته، وهذا نقول: الصفات أوسع من الأسماء؛ لأن كل اسم من أسماء الله متضمن لصفة من صفاته، وليس كل صفة من صفات الله يشتق له منها اسم، فباب الصفات أوسع من باب الأسماء، وباب الأخبار عن الله أوسع من باب الصفات أيضا؛ فالأسماء والصفات أخبار، فمثلًا: الاسم يتضمن الصفة، والصفة لا يشتق منها الاسم، والأخبار يخبر بها عن الله بالشيء الذي لا يمكن أن يوصف به، فتقول مثلًا: إن الله شيء، لكن لا تصفه بذلك؛ قال الله ـ تبارك وتعالى -: (قل أي شيء أكبر شهدة قل الله شهيد بيني وبينكم ؟ [الأنعام: 19].

ع
ع
ثم قال الله ـ جل ذكره ـ: « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضنها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره، وإن الذين أوتوا الكتب ليعلمون أنه الحق من

514

أحكام من القرآن الكريم

ربهم وما الله بغفل عما يعملون ﴾ [البقرة:١٤٤]. وقد نرى : جملة فعلية مؤكدة بـ(قد)، والرؤية هنا: رؤية بصر، وجاء الفعل بصيغة المضارع دون الماضي، إشارة إلى تكرار الفعل من النبى ﷺ، فتكررت رؤية الله ـ تعالى ـ له.
«تقلب وجهك» هو أن النبي ﷺ كان يقلب وجهه في السماء ترقبا لنزول الوحي بأمره بالاتجاه إلى الكعبة المعظمة. فلنولينك قبلة ترضنها »، أي: لنوجهتك إلى قبلة ترضاها، أي: تطمئن إليها وتستقر؛ لأنه ﷺ راض بكل ما شرعه الله له، سواء في استقبال الكعبة، أو بيت المقدس، لكن طمأنينته لاستقبال الكعبة أشد؛ ولهذا فرع عليها قوله:«فول وجهك شطر المسجد الحرام »، أي: جهة المسجد الحرام، وهو الكعبة، وسُئي مسجدا حراما لحرمته

وتعظيمه، ولهذا ثبت له من خصائص التحريم ما لم يثبت لغيره. وحيث ما كنتُر»، يعني: في أي مكان كنتم من مشارق الأرض

ومغاربها.
«قولوا وجوهكم شطره » الخطاب هنا للأمة عموما، والخطاب

الذي قبله لرسول الله ﷺ، الخطاب الذي لرسول الله ﷺ خطاب له وللأمة، كما سنذكره إن شاء الله قريبا.
ه وإن الذين أوتوا الكتب ليعلمون أنه الحق من ربهم * الذين أوتوا
الكتاب هم اليهود والنصارى.

سورة البقرة

٥١٥

وليعلمون أنه»، أي: ما حصل من الاتجاه إلى الكعبة، والحق من ربهم؛ ولكنّهم قوم معاندون مستكبرون؛ ولهذا توعدهم الله بقوله:
وما الله يغفل عما يعملون».

في هذه الآية من الحكم والفوائد ما يلي: 1 - إثبات رؤية الله ـ تعالى ـ لما يفعله العباد؛ لقوله:
«قد نرى تقلب
وجهك في السماء ..

-

٢- إثبات على الله - سبحانه وتعالى -؛ لأن النبي ﷺ يقلب وجهه في السماء ترقبا لنزول الوحي من الله - سبحانه وتعالى -. وعلو الله - سبحانه وتعالى - في الساء أمر مفطور عليه الخلق، ودلت عليه الشرائع والعقول، وقد اجتمعت الأدلة الخمسة: الكتاب والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة، على إثبات علوّ الله - سبحانه

وتعالى - فوق خلقه.
وقد قسّم العلماء - رحمهم الله - العلو إلى قسمين: الأول: علو ذات، بمعنى أن الله - تعالى - فوق كل شيء. والثاني: علو صفة، بمعنى أن صفات الله - سبحانه وتعالى - هي أعلى ما يكون من الكمال.
فأما الأول: فأدلته ما أشرت إليها: الكتاب، والشنة، والإجماع، والعقل، والفطرة، وتفصيل ذلك في كتب العقائد. وأما الثاني: فله أدلة سمعية وعقلية:

=5111

أحكام من القرآن الكريم

منها: قوله - تبارك وتعالى -: ﴿ ولله المثل الأعلى ﴾ [النحل:60]، أي: الوصف الأعلى الأكمل، وهذا دليل سمعي. وأما الدليل العقلي: فلأن الرب لا بد أن يكون أكمل من المربوب، وأعلى من المربوب، وصفا وقدرا، وهذا هو الواقع . 3- وعد الله - سبحانه وتعالى - لرسوله ﷺ أن يوليه قبلة يرضاها، وقد فعل - جل وعلا فقال: «فول وجهك شطر المسجد الحرام ؟. 4- أن الخطاب الموجه للرسول ﷺ خطاب له ولأمته، ولكن في هذا تفصيل؛ وذلك أن الخطاب الموجه إلى رسوله ﷺ، إما أن يقوم الدليل على أنه موجه له وحده، أو على أنه موجه له وللأمة، أو لا يكون هناك دليل، لا على هذا، ولا على هذا:
ع

فأما الأول: فيكون خاصا به؛ مثل قوله - تعالى -: « ألم نشرح لك صدرك * ووضعنا عنك وزرك و الذي أنقض ظهرك » الشرح:1-3]، ومن المعلوم أن هذا خاص برسول الله ﷺ وأما الثاني: وهو الذي دل الدليل على عموم الحكم له ولأمته -: دلَّ
فمثل قوله - تعالى -: «يأيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدين ﴾ [الطلاق:1]، فهنا

صدر الخطاب بخطاب موجه إلى الرسول ، بأداة النداء، في قوله: «ينأيها الني، ولكنه جعل الحكم عاما، فقال: «إذا طلقتم النساء فطلقوهن "، ولم يقل: «إذا طلقت»؛ وهذا يدلُّ على أنه عام له ولأمته و، ومنه هذه الآية: * فول وجهك شطر

سـورة البقـرة

ج
المسجد الحرام وحيث ما كنتم قولوا وجوهكم شطره .

517

وأما القسم الثالث: فكثير في القرآن الكريم، يكون الكلام بصيغة الخطاب للواحد، وهذا ظاهره أنه موجه إلى الرسول ﷺ، فقيل: إنه موجه له ولأمته، لكن خص الخطاب به؛ لأنه قائد الأمة وإمامها، وقيل: بل هو موجه له وحده، وأمته ـ في ذلك ـ يشملها الخطاب من باب التأسي والاقتداء، والخلاف في هذا لفظي؛ لأن كلا القولين ينصب في أن الأمة تفعل ما وجه إلى الرسول ﷺ
5- وجوب استقبال القبلة في أي مكان من الأرض؛ لقوله : وحيث ما كنتة فولوا وجوهكم شطره .
6- أن الواجب الاتجاه إلى الجهة، لا إصابة عين الكعبة؛ لقوله: ٦ـ شطر المسجد الحرام»، أي: جهته، وهذا ما لم يتيسر استقبال عين الكعبة، فإن تيشر استقبال العين، كان واجبا، ومن المعلوم أن من كان في المسجد الحرام، يتيشر له أن يتجه إلى عين الكعبة غالبا؛ لأنه يشاهدها، ومن كان خارج المسجد الحرام، ولا يسعه أن ينظر إلى الكعبة، فإنه لا يمكنه أن يشاهد الكعبة، فيكفيه الاتجاه إلى الجهة.

w

والجهة واسعة، وكلما بعدت المسافة، اتسعت الجهة؛ ولهذا قال العلماء رحمهم الله ـ: إنه لا يضر الانحراف اليسير عن القبلة، وإنها الذي يضر أن تكون القبلة عن يمينك، أو عن شالك، أو خلف ظهرك، أما الانحراف اليسير فإنه لا يضر؛ واستدلوا بقول النبي ﷺ: «ما بين

٠١٨

المشرق والمغرب قبلة»(١)، قاله لأهل المدينة، ومن كان على سمتهم، ولقوله و: «لا تستقبلوا القبلة بغائط ولا بول، ولا تستدبروها، ولكن شرقوا أو غربوا»(٢).

ويستثنى من وجوب الاتجاه إلى القبلة، ثلاث مسائل: المسألة الأولى: عند الخوف، إذا كان الإنسان هاربا من عدة، فإنه يصلي حيث كان وجهه.
المسألة الثانية: العجز، إذا كان الإنسان مريضا، ولا يستطيع أن يتوجه إلى القبلة بنفسه، ولا بمن يوجهه، فإنه يصلي حيث كان وجهه. المسألة الثالثة: النّافلة في الشفر؛ فإن الإنسان يصلي على راحلته من سيارة، أو بعير، أو طائرة، حيث كان وجهه؛ لأن النبي ﷺ كان يفعل ذلك.

أما الدليل في المسألتين الأوليين، الخوف والعجز: فهو قوله ـ تعالى ـ: (فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ [التغابن:16]. ـ أن أهل الكتاب يعلمون الحق الذي جاء به النبي ﷺ، ولكنهم معاندون مستكبرون، وقد قال الله ـ تعالى ـ في آية أخرى: إنهم يعرفون

(١) رواه الترمذي كتاب الصلاة، باب ما جاء أن ما بين المشرق والمغرب قبلة، رقم (٣٤٢، ٣٤٣،٣٤٤)، وابن ماجة كتاب إقامة الصلاة، باب القبلة، رقم (١٠١١). (٢) رواه البخاري كتاب الوضوء، باب لا تستقبل القبلة بغائط أو بول، رقم (١٤٤)، ومسلم كتاب الطهارة، باب الاستطابة، رقم (٢٦٤).

سورة البقرة

ع
لا
النبي ﷺ كا يعرفون أبناءهم، وذلك با ذكر من أوصافه عندهم التي لا تنطبق على بشر سواه، ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: * الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورنة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهنهم عن المنكر وجل لهم الطيبنت وتحرم عليهم الخبيث ويضع عنهم إضرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين ءامنوا به، وعززوه ونصروه واتبعوا الثور الذي أنزل معه أولتيك هم المفلحون ﴾ [الأعراف:15]؛فإن هذه الأوصاف منطبقة

تماما على رسول الله الهاشمي القرشي و، وهم يعلمون ذلك، لكنهم كانوا مستكبرين حسادا؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: « ود كثير من أهل الكتب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ﴾ [البقرة:١٠٩].

٨ـ ذم من علم الحق ولم يتبعه، وتعريضه نفسه للعقوبة؛ لقوله ـ تعالى -: « ليعلمون أنه الحق من ربهم ؟. 9ـ إثبات أن الله ـ تعالى ـ موصوف بالإثبات، وموصوف بالنفي؛ فهو ـ سبحانه وتعالى ـ قد جمع فيها وصف به نفسه بين النفي والإثبات، والإثبات أكثر من النفي؛ ولهذا يأتي الإثبات مفصلًا، ويأتي النفي مجملًا، إلا فيما يحتاج إلى التفصيل فيه. قال أهل العلم: وصفات الله -

(١) سورة البقرة، آية: ١٤٦، وسورة الأنعام، آية: ٢٠.

سبحانه وتعالى ـ التي نفاها عن نفسه لا يقصد بها مجرد النفي؛ لأن مجرد النّفي ليس وصفا كاملًا، ولكن كل صفة نفاها الله عن نفسه، فالمراد بها إثبات كال ضدها مع النّفي:

ج

فمثلًا قوله - تعالى -: ﴿ وما الله بغفل عما يعملون» يدل على انتفاء غفلة الله عما يعملون مع ثبوت كمال العلم والمراقبة، وفي قوله - تعالى -: ﴿ وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض *، إثبات كمال العلم والقدرة؛ ولهذا قال بعدها: «إنه كان عليما قديرا ﴾ [فاطر:44]، فلا يمكن أن تجد نفيا محضا في صفات الله، وتعليله أنّ النّفي المخض عدم محض، والعدم المخض ليس فيه كال، وكل ما نفاه الله عن نفسه، فالمراد به نفي ما نفاه مع إثبات ما تضمنه من كمال الضفة التي هي ضد ذلك النفي، فلم ينف عن نفسه الظلم، إلا لكال عدله، ولا العجز، إلا لكال علمه وقدرته، ولا الغفلة عن أعمال العباد، إلا لكال عليه ومراقبته،،، وهلم جرا.

ج

ثم قال ـ تعالى ـ: « ولين أتيت الذين أوتوا الكتب بكل ءاية ما تبغوا قبلتك وما أنت بتابع قبلهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولين أتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظلمين * *

[البقرة: 145].

ولين أتيت الذين أوتوا الكتب الخطاب للرسول ﷺ

سورة البقـرة

٥٢١

بكل ءاية»، أي: بكل دليل على ما أتيت به.
وما تبعوا قتلتك »؛ وذلك لأنهم لا يريدون الحق، وإنـا يـريـدون با

العلم والاستكبار.
ع
(وما أنت يتابع قبلهم »؛ وذلك لأن شرع النبي ﷺ نسخ جميع
ج
الشرائع، فهم بريئون منك، وأنت بريء منهم، وهذا كقوله ـ تعالى ـ: * فل يتأيها الكفرون و لا أعبد ما تعبدون (ولا أنتم عابدون ما أعيد ﴾ [الكافرون:1-3] إلى آخر السورة.
«وما بعضهم يتابع قبلة بعض »، يعني: أن أهل الكتـاب ـ أيـضـا ـ مختلفون، فلا يتبع بعضهم بعـضـا في القبلـة والاتجاه؛ فالنّصارى لهـم اتّجاه، واليهود لهم اتّجاه، ومع ذلك فهم فيما بينهم أولياء ضد المؤمنين. ولين أتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظلمين ، يعني: إن قدر أنك داهنتهم واتبعت أهواءهم .. من بعد ما جاءك من العلم ـ لكنت من الظالمين، وهذا التعليق لا يلزم منه وجود المعلق؛ فإنّ «إن» الشرطية تدخل على شيء متعذر، بل مستحيل؛ كقوله - تعالى -: * قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العبدين * [الزخرف:٨١]، فلا يعني ذلك: أنه يمكن أن يكون الله ولد. فـ«إن» هنا: داخلة على شيء مستحيل، وكذلك قوله ـ تعالى ـ: (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لين أشركت ليخبطن عملك ولتكونن من الخسرين * [الزمر:65]، لا يقول قائل: إن الرسول يمكن أن يشرك، بل هذا على

٥٢٢

أحكام من القرآن الكريم

فرض وقوع ذلك، والفرض يمكن أن يرد على شيء مستحيل. في هذه الآية من الحكم والفوائد ما يلي: 1- بيان تمرد الذين أوتوا الكتاب واستكبارهم، وأنهم لو أتوا بكل آية ما قبلوها؛ لعنادهم واستكبارهم.
٢ـ أنّ المؤمن بريء من كل دين يخالف الإسلام، حتى من دين من .

ع
يزعمون أنهم على دين، كالذين أوتوا الكتاب . ٣ـ وجوب مخالفة المشركين فيما يختص بهم؛ لقوله ـ تعالى ـ: «وما أنت بتابع قبلهم »؛ ولهذا حذر النبي ﷺ من مشابهة الكفار، فقال: امن تشبه بقوم فهو منهم»، وقال: «خالفوا المجوس؛ وفروا اللحى، وحفوا الشوارب»(٢)؛ فلا يحل للمؤمن أن يتشبه بالكفار فيما يختص بهم من لباس، أو هيئة، يعني: في الجسم، كالشعور مثلًا، يصففها على ما يصففها الكفار، وغير ذلك؛ لهذا الحديث الذي ذكرتُ، ومن المعلوم أن التشبه بالكفار يؤدي إلى فرحهم وسرورهم، ومن المعلوم ـ أيضا ـ أن المتشبة في حال ومرتبة دون المتشبه به، فتشبهنا بالكفار والمشركين، يؤدي إلى اعتلائهم وترفعهم علينا، واعتقادهم أننا لهم تبع، ولا شك

(١) رواه أحمد رقم (5093، ٥٦٣٤)، وأبو داود كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، رقم

(4031)..

(٢) رواه البخاري كتاب اللباس، باب تقليم الأظفار، رقم (٥٨٩٢)، ومسلم كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، رقم (٢٥٩) عن ابن عمر، ولفظه: «خالفوا المشركين». ورواه مسلم عن أبي هريرة، رقم (٢٦٠) بلفظ: «خالفوا المجوس».

سورة البقرة

١٥٢٣

-

أنّ هذا إهانة وإغاظة للمؤمن، والمؤمن ينبغي أن يعتقد بقلبه أنه هو الأعلى؛ لأنه يدين الله ـ تعالى ـ بدين عال على كل الأديان؛ كما قال ـ تعالى -: ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين

الحق ليظهره على الدين كله، ﴾ [التوبة:33، والصف:9]، وقال - تعالى -: ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ [آل عمران:١٣٩]. ٤- بيان اختلاف أهل الكتاب، وأن بعضهم لا يدين با يدين به الآخر؛ لقوله ـ تعالى ـ: «وما بعضهم بتابع قبلة بعض »، وهذا هو الواقع، فلننظر الآن إلى اليهود ماذا قالوا عن عيسى؟ قالوا: إنه ابن زانية ـ والعياذ بالله ـ وقالوا عن أمه: إنها زانية بغي. وماذا قال النصارى عنه؟ قالوا: إنه ابن الله، وقالوا: إنّ الله ثالث ثلاثة: الله، والمسيح، وأمه، فنجد الطرفين متناقضين بينها أكثر ما بين المشرق والمغرب، وقال المسلمون في عيسى بن مريم وأمه: إن عيسى بن مريم عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن أمه مريم صديقة، أبعد ما تكون عمّا رماها به اليهود. 5- التحذير من متابعة أهواء أهل الكتاب؛ لأن الله ـ تعالى ـ حذر نبيه منه، وما حذر منه الرسول ﷺ، فنحن محذرون منه. 6- الإشارة إلى أن ما قاله أهل الكتاب من الحق، فلا حرج علينا في اتّباعه؛ لأن الله ـ تعالى ـ قال: «ولين أتبعت أهواءهم»، فأما ما جاؤوا به من الحق فإننا نقبله؛ لأن الحق يقبل من كل من جاء به؛ ولهذا لما

أحكام من القرآن الكريم

جاء الخبر إلى رسول الله ﷺ وقال: «يا محمد، إنا نجد أن الله ـ تعالى ـ يجعل السّموات على إصبع، والأرضين على إصبع...» وذكر الحديث. ضحك النبي ﷺ تصديقا لقوله، وقرأ: (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيمة والشموات مطويت بيمينه شبخته، وتعالى عما يشركون ﴾ [الزمر:67] ().

ـ أنه يشترط للإثم بالعمل: العلم بالتحريم، فلا يأثم العامل بالإثم، وهو لا يعلم أن عمله محرم؛ لقول ـ تعالى ـ: «ولين أتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم »، فلا يؤثم الإنسان بفعل شيء هو جاهل به؛ ويدل هذا الأصل العظيم أن الله ـ تعالى ـ قال: « وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به، ولكن ما تعمدت قلوبكم * [الأحزاب:5]، وقال ـ جل وعلا -: « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ [البقرة:٢٨٦]، فقال الله - تعالى -: «قد فعلتُ»(٢) وقال الله - تعالى -: «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولًا [الإسراء:15]، وقال ـ تعالى ـ: * وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولًا يتلوا عليهم ءايتنا وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها

(١) رواه البخاري كتاب التفسير، باب (وما قدروا الله حق قدره * رقم (٤٨١١)، ومسلم كتاب صفة القيامة، رقم (٢٧٨٦).
(٢) رواه مسلم كتاب الإيمان، باب بيان قوله ـ تعالى ـ: (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه * رقم: (١٢٦).

سورة البقـرة

١٥٢٥

ج
ظلمون * [القصص:59]، وقال - تعالى -: * رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيز حكيما * [النساء:165]، وقال ـ تعالى ـ: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ [إبراهيم:4]. والآيات في هذه كثيرة، تدل على أنه لا تأثيم مع الجهل، وهذا من رحمة الله بالعباد، ألا يؤئمهم با يجهلونه؛ لأنّ الإنسان بشر ضعيف، وإذا لم يأثم به لم يترتب عليه فدية ولا كفارة؛ إلا ما كان من قتل الخطأ، فإن فيه الكفارة؛ لعظم حتّى النفس المعصومة.
!

ثم قال الله - عز وجل -: (الذين ءاتينهم الكتب يعرفونه، كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون (*

[البقرة:١٤٦].
والذين اتيتهم الكتب» هم اليهود والنصارى.
يعرفونه, »، أي: يعرفون النبي ﷺ
كما يعرفون أبناءهم »، أي: كمعرفة أبنائهم؛ وذلـك مـا علمـوا من صفته في التوراة والإنجيل، وخص الأبناء؛ لأن تعلق النفوس بهـم أعظم من تعلقها بالبنات غالبا.
وإن فريقا منهم » فريقا منهم، أي: طائفة من هؤلاء الذين أوتوا

الكتاب، وهم علاء بني إسرائيل.
ليكتمون الحق وهم يعلمون»، أي: يعلمونه، ولكنهم يكتمونه

١٥٢٦

ويخفونه عن الناس؛ إما حسدا لأمة محمد ، وإمّا للخوف على رئاستهم وسلبهم أموال الناس، وإما لغير ذلك. قال - تعالى -: « الحق من ربك فلا تكونن من الممترين *

[البقرة:١٤٧]:
الحق من ربك ؟ هذا تثبيت للرسول ﷺ : أن الحق من ربك،
وقد أتاك.
(فلا تكونن من الممترين »؛ نهاه الله - عز وجل ـ عن ذلك، وهو لا يمكن أن يمتري؛ لأن الضغوط العظيمة، والكلمات القوية من الذين أوتوا الكتاب ومن المشركين على رسول الله ﷺ، قد تطيح بالشخص، إلا أن يثبته الله ـ تعالى ـ كما قال ـ تعالى ـ: « ولولا أن تبتنك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلًا في إذا لأذقنك ضعف الحيوة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ﴾ [الإسراء: ٧٤-٧٥].

في هاتين الآيتين من الفوائد والأحكام ما يلي: 1ـ أن أهل الكتاب ـ اليهود والنّصارى ـ يعرفون النبي ﷺ تمام المعرفة؛ وذلك با ذكر من أوصافه في التوراة والإنجيل. ٢ـ تمام عدل الله ـ عز وجل ؛ حيث قال: « وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون»، ولم يقل: «وإنهم ليكتمون الحق»؛ لأن منهم من أقر بالحق وآمن؛ كعبد الله بن سلام من اليهود، والنجاشي من النصارى، ولو جاء التعميم: «وإنهم ليكتمون الحق»، لم يكن في هذا

سورة البقرة

١٥٢٧

بيان لفضل أولئك الذين آمنوا بالرسول ﷺ . ثم إن في قوله: ﴿ وإنّ فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون» إشارة إلى أن النبي ﷺ على الحق؛ لأن فريقا من أهل الكتاب آمنوا به وصدقوه، فيكون في ذكر

«الفريق» دون التعميم فائدتان:
الفائدة الأولى: العدل، وأن لا يهضم الذين آمنوا حقهم. الفائدة الثانية: إثبات صدق الرسول ﷺ عند أهل الكتاب؛ حيث إن فريقا منهم آمنوا به وصدقوه.

٣- ذم من كتم الحق وهو يعلمه، ويشهد لهذا قوله ـ تعالى ـ: * وإذ أخذ الله ميثق الذين أوتوا الكتب لتبيننه للناس ولا تكتمونه, فتبدوه وراء ظهورهم واشتروا به، ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ﴾ [آل * عمران:
١٨٧]، وقوله ـ تعالى ـ: (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البيت والهدى من بعد ما بينه للناس في الكتب أوليك يلعنهم الله ويلعنهم اللعنون »

[البقرة:159].
ولهذا كان واجبا على أهل العلم أن يبينوا العلم كلما احتاجت الأمة إليه، إما بالسؤال المباشر عن العلم، وإما بلسان الحال، بحيث يقع الناس في أمر يحتاجون إلى بيانه؛ لأن النبي ﷺ توعد من سئل عن علم، فكتمه، والسؤال عن العلم ـ كما أشرت إليه ـ يكون بلسان الحال، ويكون بلسان المقال:
أما بلسان الحال: فأن يقع الناس في أمر يحتاجون إلى التنبيه عليه.

=

١٥٢٨

أحكام من القرآن الكريم

وأما بلسان المقال: فأن يأتيك شخص يسألك عن مسألة شرعية، وأنت تعلمها، فيجب أن تبينها له، إلا إذا علمت أن هذا الرجل لا يريد الوصول إلى الحق، وإنما يريد أن يوقع بين العلماء؛ لأنه ربما يحصل بينهم اختلاف في الرأي، أو يريد الإعنات والمشقة على المسؤول، فحينئذ يكون المسؤول مخيرا بين إجابته، وترك إجابته. ٤ـ أن الحق من عند الله - عز وجل -؛ لأنه صادر من الله ـ تعالى -

وما صدر من الحق فهو حق، وما خالفه فهو باطل. هـ فضيلة الرسول ﷺ؛ حيث أضاف الله ـ تعالى ـ الربوبية إليه في قوله: * الحق من ربك ﴾، وهذه ربوبية خاصة، تقتضي عناية أخص.
والربوبية تنقسم إلى قسمين: ربوبية عامة لجميع الخلق، وربوبية خاصة لمن اجتباهم الله - عز وجل -، ومن الأمثلة الجامعة للعامة والخاصة: قوله ـ تعالى ـ عن سحرة آل فرعون: * قالوا ءامنا برب العلمين [الأعراف:١٢١]، وهذه عامة، رب موسى وهرون [الأعراف: ١٢٢]، وهذه خاصة.

6 ـ تثبيت النبي ﷺ وتقويته في قوله ـ تعالى ـ: «فلا تكونن من الممترين، وهو ﷺ لم يمتر، ولم يشك، ولكن هذا من باب تقويته وتثبيته؛ لأن النبي ﷺ بشر ويحتاج إلى التثبيت والتأييد؛ ولهذا قال الله ـ تعالى -: *فلا تكونن من الممترين، وقد بين الله ـ تعالى ـ أن ثبات النبي ﷺ كان بفضله ورحمته، فقال: «ولولا أن تبتنك لقد كدتُ

سورة البقـرة

٥٢٩

تركن إليهن شيئا قليلًا مع إذا لأذقنك ضعف الحيوة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا﴾ [الإسراء:٧٤-٧٥]. ـ ورود النهي عـا لا يمكـن وقوعـه؛ لقوله: « فلا تكونن من الممترين»، والامتراء من الرسول ﷺ ليس بواقع، ولا يتوقع ـ أيضا ـ لأنه ﷺ أقوى الناس إيمانا بالله ـ تعالى ـ.

ثم قال ـ سبحانه وتعالى -: ﴿ ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير »

ج

[البقرة: ١٤٨].
ولكل وجهة »، أي: لكل من المسلمين وأهل الكتاب، وجهة هو موليها، وإن شئت فقل: ولكل، أي: لا بد لكل أحـد، مـن وجهـة هـو موليها، فمن الناس من يولي وجهه شطر الإيمان والإصلاح. وفاستبقوا الخيرات »، أي: تسابقوا إلى الخيرات، والخيرات هي:

ع

ما جاء به الرسول ﷺ من الحق.

ع
أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا ، يعني: في أي مكان تكونون، فإن الله - سبحانه وتعالى ـ سوف يأتي بكم جميعا، وذلك إذا حشر الناس؛ فإن الله ـ تعالى ـ يحشر الناس جميعا، من أي مكان كانوا من قبل، يحشرون كلهم جميعا كنفس واحدة، يقومون الله ـ عز وجل - من قبورهم، قيام رجل واحد؛ كا قال الله - تعالى -: (ونفخ في الصور

٥٣٠

أحكام من القرآن الكريم

فإذا هم من الأحداث إلى ربهم ينسلون ﴾ [يس:51]، وقال - تعالى -: إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾ [يس:٥٣]، وقال - تعالى -: (فإنما هي زجرة واحدة - فإذا هم بالشاهرة

[النازعات:١٣-١٤].
فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يأتي بالخلق جميعا أينما كانوا في الأرض، يأتي بهم جميعا ويحشرهم في مكان واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر.
وإن الله على كل شيء قدير؛ فهو قادر على إيجاد المعدوم، وإعدام الموجود، بدون عجز ولا ضعف.
وفي هذه الآية الكريمة من الحكم والفوائد ما يلي: 1ـ أن كل واحد من الناس له وجهة يتولاها، ويتوجه إليها، وهم فرق متباينة؛ كما قال ـ تعالى ـ: « هو الذي خلقك فمنكر كافر ومنكر مؤمن ﴾ [التغابن: ٢].
٢ـ الأمر بالتسابق إلى الخير؛ لقوله - تعالى -: «فاستبقوا الخيرات، ثم إن الخيرات منها ما يجب، ومنها ما يستحب، على حسب ما جاءت به الشريعة.

3ـ إثبات الحشر يوم القيامة، وأن جميع الناس سوف يحشرون إلى الله ـ عز وجل ؛ لقوله ـ تعالى ـ: «أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا ؟. ٤- إثبات اسم من أسماء الله، وهو «القدير»، وما دل عليه من

سورة البقرة

٠٣١

الوصف، وهو: القدرة، فلله - سبحانه وتعالى ـ القدرة التامة في كل شيء إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ [يس: ٨٢]، «أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا ﴾ [فاطر:٤٤].

قال الله ـ تعالى ـ: « ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد ،

الحرام وإنه للحق من ربك وما الله يغفل عما تعملون ﴾ [البقرة: ١٤٩]. وهذه الآية للتوكيد كا سبق؛ لأن المقام مقام عظيم، والأمر مهم جدا، ولا يشعر إنسان بهذا المقام وأهميته، إلا لو كان موجودا ذلك الوقت ـ أي: حين تحويل القبلة ـ لأنه أمر جلل عظيم، أكده الله ـ عز وجل ـ في هذه الآية، وفي الآية التي بعدها.
(ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام »، أي: من أي مكان خرجت، وإلى أي جهة اتجهت، فلا بد أن تولي وجهك شطر المسجد الحرام، أي: جهته.
وإنه, للحق من ربك »، أي: إن ما ذكر من توليك شطر المسجد الحرام، للحق من الله، وهذه جملة مؤكدة بـ«إن»، وبـ«اللام»، وتأكيد الجملة يدل على أهميتها، وأن الأمر فيها يحتاج إلى توكيد وتثبيت في
قلوب الناس.

أحكام من القرآن الكريم

وما الله يغفل عما تعملونه يقال فيها كما قيل في الآية السابقة،
أي: أنه لكال مراقبته وعلمه، لا يغفل عما يعمله العباد. في هذه الآية الكريمة من الفوائد والأحكام، ما يلي: 1ـ تأكيد الأمور الهامة، حتى ترسخ في النفوس، وتطمئن إليها القلوب، ولا يعد هذا من التكرار الزائد، بل هو من التكرار البليغ؛ لأن الشيء كلما كان هاما، فإن البلاغة في العناية به، والاهتمام به. ٢ـ أن الإنسان في أي جهة خرج، من بر أو بحر أو جو، فإنه يتعين عليه أن يولي وجهه شطر المسجد الحرام في الصلاة، ولكن سبق أنه

استثني من ذلك مسائل: الخوف، والعجز، والنافلة في السفر. 3ـ أن الإنسان لو تبين له في أثناء الصلاة أنه إلى غير القبلة، فإنه يجب أن ينحرف إلى القبلة، فلو أن الإنسان في البر، واجتهد في القبلة، واتجه إلى جهة ما، ثم جاءه رجل أعلم منه بالجهات، وقال له: إن القبلة عن يمينك، أو عن يسارك، وجب عليه أن يتجه إلى ما أرشده إليه هذا الرجل، ولا يلزمه أن يستأنف الصلاة؛ لأن ما حصل منه في أول الصلاة، صادر عن اجتهاد، ولكن لو استمر على الجهة التي هو عليها بدون علم، فإنه يجب عليه إعادة صلاته؛ لأن اتجاهه إلى غير القبلة فيها بقي من صلاته، باطل.
والصلاة لا تتجزأ، فينسحب البطلان إلى أولها، ولهذا لما جاء رجل إلى أهل قباء، وهم يصلون صلاة الفجر، متجهين إلى بيت المقدس،

سورة البقرة

والكعبة خلف ظهورهم، قال لهم: إن النبي ﷺ أنزل عليه الليلة القرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة، فاتجهوا إلى الكعبة واستقبلوها، وصار بيت المقدس خلف ظهورهم، بعد أن كان قبل وجوههم؛ لأن هذا هو الواجب.
٤ـ أن ما جاءت به الشريعة ـ شريعة محمد ﷺ هو الحق؛ وعلى هذا فيكون ما سواه باطلًا، ويتفرع على هذه الفائدة: بطلان البدع بجميع أنواعها؛ لأن البدع مخالفة لما جاء به النبي ﷺ؛ فإن البدعة المذمومة هي: التعبد الله ـ تعالى ـ بها لم يشرعه الله، من عقيدة أو قول أو عمل فكل بدعة فهي باطلة؛ لأنها مخالفة لما جاء به الرسول ﷺ هـ كال علم الله ـ تعالى ـ ومراقبته؛ للمفهوم من قوله: «وما الله بغافل عما تعملون.
نسأل الله - سبحانه وتعالى ـ أن يوفقنا للعمل الذي يرضيه، وأن لا
يعلم منا إلا ما يرضى به عنا؛ إنه جواد كريم.

ج
قال الله - تعالى -: ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره، لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأيم يعمنى عليكم ولعلكم تهتدون ﴾ [البقرة:150].
وهذه الآية ـ كما هو معلوم ـ هي الآية الثالثة التي كرر فيها وجوب

2l534

أحكام من القرآن الكريم

الاتجاه إلى الكعبة المعظمة، وذلك للتأكيد، وكل جملة منها أعقبت
بمعنى عظيم:
ع
أما الأولى: وهي قوله ـ تعالى ـ: «قول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتة فولوا وجوهكم شطره »، فأعقبها الله ـ تعالى ـ ببيان أن ذلك هو الحق، وأن الذين أتوا الكتاب يعلمون ذلك. وأما الثانية، ففيها: بيان الحكمة من تحويل القبلة، وتثبيت المؤمنين على ما يورد عليهم من الشبهات حول هذا الموضوع؛ يقول الله ـ تعالى -: ﴿ ومن حيث خرجت»، أي: من أي جهة خرجت، من أي

مكان خرجت.
قول وجهك شطر المسجد الحرام ، أي: جهة المسجد الحرام. وحيث ما كنتم ؟ في أي مكان؛ من بر، أو بحر، أو جو. «قولوا وجوهكم شطره. » .
ثم بين الحكمة من ذلك بقوله: (إفلا يكون للناس عليكم حجة»، أي: لئلا يحتج الناس عليكم، يعني: أوجبنا عليكم ذلك؛ لئلا يحتج الناس عليكم، فمن الذي يحتج؟ يحتج من الناس طائفتان:
الطائفة الأولى: أهل الكتاب.
الطائفة الثانية: المشركون.
أما المشركون: فإن النبي ﷺ لو بقي على الاتجاه لبيت المقدس، لقالوا: هذا الرجل ترك قبلة آبائه، إلى بيت المقدس.

سورة البقرة

|٥٣٥|

وأما اليهود: فإنهم يقولون: هذا الرجل ترك قبلتنا، وأخذ بقبلة قومه.

فبين الله ـ عز وجل ـ أنه أوجب علينا أن نتجه إلى الكعبة؛ لئلا يحتج هؤلاء وهؤلاء، فبطلت حجة المشركين، باتجاه النبي ﷺ إلى الكعبة، ورجع إلى ما كانت عليه القبلة زمن إبراهيم ـ عليه السلام ـ وبطلت حجة اليهود الذين قالوا: يتركنا ويرجع إلى دين آبائه؛ لأن النبي ﷺ إنا يفعل ذلك امتثالًا لأمر الله - سبحانه وتعالى ـ وتحقيقا لما عرفوه هم فيها عندهم من الكتاب؛ ولهذا قال الله ـ عز وجل ـ: «إلا الذين ظلموا منهم * وهم اليهود والمشركون، على الوجه الذي ذكرنا
آنها.

ثم نهى الله عباده عن خشية الناس، ولو كانوا ظالمين، فقال: فلا تخشوهم وأخشوني » ، يعني: دعوا خشية هؤلاء الظالمين، واخشوني؛

فإن خشية الله - سبحانه وتعالى ـ يندفع بها كل شر، وكل ظلم. ولأنه يعمنى عليك ولعلكم تهتدون هذه الجملة معطوفة على قوله: لئلا يكون للناس عليكم حجة»، أي: وأمرتكم بأن تولوا وجوهكم شطر المسجد الحرام؛ لأتم نعمتي عليكم بالاتجاه إلى الكعبة المعظمة، التي

هي أول بيت وضع للناس. ولعلكم تهتدون» «لعل» هذه: للتعليل، أي: لعلكم تكونون من ذوي الهداية، الذين وفقوا لهداية العلم، وهداية الرشد.

١٥٣٦

أحكام من القرآن الكريم

في هذه الآيات الكريمة من الفوائد والأحكام، ما يلي: 1ـ تأكيد الاتجاه إلى الكعبة المعظمة ـ وقد سبق الكلام عـن ذلـك ـ وبيان أن الاتجاه إلى الكعبة المعظمة واجب، من شروط صحة الصلاة، إلا ما استثني من المسائل السابقة.
٢ـ أن أحكام الله ـ تعالى ـ الشرعية، معللة، أي: لها علـة وحكمـة، وليست لمجرد المشيئة التي ليس لها حكمة ولا علة؛ لقوله: «لئلا يكون للناس عليكم حجة .

وفيها: رد على من يقول من أهل البدع: إن أفعال الله - سبحانه وتعالى ـ وأحكامه لا تعلل بعلل؛ لأنه (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ﴾ [الأنبياء:٢٣]، فنقول: إن القرآن والسنة مملوءان من ذكر تعليل الأحكام بالعلل والمصالح، وأما قوله ـ تعالى ـ: « لا يسئل عما يفعل وهم يستلوت »، فهو لا يسأل عما يفعل؛ لكمال أفعاله، ولكونها لا تصدر إلا عن حكمة بالغة.ثم إن هناك أفعالًا الله ـ تعالى ـ وأحكاما لا تعلم عللها وحكمتها؛ فلا مطعن فيها، ولا معارضـة الله ـ تعالى ـ
فيهـا؛ لأن عقـول الخلق قاصرة عن إدراك كل حكمة الله ـ تعالى ـ 3ـ أنه ينبغي للإنسان أن يتجنب كل سبيل يكون فيه حجـة عليه حتى ولو كانت الحجة من أهل الظلم، ما لم يخالف بـذلك شريعة الله -

تعالى ـ فدرء الإنسان عن نفسه ما يقبح به، ويسب به: أمر مطلوب. ٤ـ أن الظالمين أهل عناد وشقاق، وأنهم يعاندون ويشاقون حتى

سـورة البقـرة

٥٣٧

فيها تبين فيه الحق؛ لقوله: «إلا الذين ظلموا منهم ؟ . 5ـ تحريم خشية الناس في إضاعة حقوق الله؛ لقوله ـ تعالى ـ: «فلا تخشوهم وأخشونى »، ويترتب على هذه الفائدة: أنه لا تجوز

المداهنة في دين الله ـ عز وجل ـ، بل يجب أن يكون الإنسان قويا، حازما، معتزا بدينه الذي من الله به عليه.

٦- بيان نعمة الله - سبحانه وتعالى ـ على هذه الأمة بإتمام النعمة، حيث قال: «ولأتم نعمتى عليكم»، وما أكثر نعم الله ـ تعالى ـ على هذه الأمة، الدينية والدنيوية؛ كما قال الله ـ تعالى : (اليوم ييس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ [المائدة:3].

ـ أن امتثال أمر الله ورسوله، واجتناب نهي الله ورسوله، سبب للهداية، وكلما ازداد الإنسان تقوى الله، ازداد هداية؛ كما قال الله ـ تبارك وتعالى -: « والذين اهتدوا زادهم هدى وءاتنهم تقولهم ؟ [محمد:١٧]؛ ولهذا قال هنا: «ولعلكم تهتدون».

٥
ثم إن الآية الكريمة تشير إلى أن هناك أناسا ضد الدين الإسلامي، يحتجون على المسلمين، في كل ما جاء من شرعهم، ولكن على المسلمين أن يصمدوا، وأن يثبتوا على ما هم عليه، كما أمرهم الله في قوله: (يأيها الذين ءامنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ [آل عمران:٢٠٠]، وأهل العدوان يحتجون أحيانا على القرآن

٥٣٨

أحكام من القرآن الكريم

الكريم، وأحيانا على رسول الله ﷺ، وأحيانا على ما تضمنته رسالة النبي ﷺ من الشرائع أو الشعائر. نسأل الله - سبحانه وتعالى ـ أن يجعلنا ممن يعتز بدينه، وأن يكفينا شر أعدائنا، وأن يجعل شرورهم في نحورهم، إنه على كل شيء قدير.

قال الله ـ تعالى ـ: «كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم ايتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون - فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون »

[البقرة:١٥١-١٥٢].
قوله: «كما» «الكاف» هنا: للتعليل؛ كقوله - تعالى -: (واذكروه كما هدنكم ﴾ [البقرة: ١٩٨]، أي: لهدايته إياكم. و «ما» مصدرية، وتقدير الكلام كإرسالنا فيكم رسولًا، وهو محمد ﷺ

وقوله: «فيكم رسولا منكم»، أي: منكم أيها العرب؛ لأنه من العرب، فهو هاشمي قرشي، وهو من بني إسماعيل، وليس من بني إسماعيل نبي سوى محمد ﷺ
يتلوا عليكم ابينا ←، أي: يقرؤها، والمراد بها: القرآن الكريم. (ويزكيكم»، أي: يزكي عبادتكم، ويزكي أخلاقكم، ويزكي
نفوسكم؛ فالدين كله تزكية، على يد الرسول ﷺ

سورة البقرة

|٥٣٩|

ويعلمكم الكتب والحكمة» يعلمكم الكتاب ـ وهو القرآن -
.
لفظه ومعناه، «والحكمة» هي السنة التي جاء بها رسول الله ﷺ وكذلك ما تضمنه القرآن من الحكم والأسرار، في الأحكام التي جاء بها. ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون»، أي: ما لم تكونوا تعلمون من قبل؛ فإن العرب كانوا قبل الرسالة أمة أمية، لا يعرف واحد منهم أن يكتب اسمه، ولكن الله ـ تعالى ـ من عليهم بهذا الرسول الكريم، فحصل لهم علم وزكاة وحكمة.

في هذه الآية من الحكم والفوائد ما يلي: ١ـ منة الله - سبحانه وتعالى ـ علينا؛ حيث أرسل فينا هذا النبي الأمي، الذي يتلو علينا آيات الله، ويزكينا، ويعلمنا الكتاب والحكمة. ٢ـ أن رسول الله ﷺ حق من عند الله، قام بها يجب عليه من تلاوة آيات الله علينا وتزكيتنا، وقد علمنا ﷺ كل ما نحتاج إليه في أمور ديننا ودنيانا، حتى قال أبو ذر ـ رضي الله عنه ـ: «لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء، إلا ذكر لنا منه عليا»(1). ٣ـ ثبوت التزكية، وإن شئت فقل: ثبوت الزكاة لمن اهتدى با يتلوه النبي ﷺ من آيات الله؛ لقوله: «ويزكيكم »، ومن عرف حال العرب قبل الإسلام، عرف كيف زكاهم الإسلام، وهذب أخلاقهم

(١) رواه أحمد (٢٠٨٥٤، ٢٠٩٢٨)

|٥٤٠|

أحكام من القرآن الكريم

وأزال عنهم عصبية الجاهلية.
٤ـ الحث على تعلم الكتاب والحكمة، أي: تعلم الكتاب والسنة؛ لأن الله جعله مما من الله به علينا، حيث قال: ويعلمكم الكتب والحكمة ». فضل النبي ﷺ على أمته بما يتلوه عليهم من آيات الله،

ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويعلمهم ما لا يعلمون. هـ الإشارة إلى أن من تلا على عباد الله آيات الله، وزكاهم با يقدم لهم من المواعظ، وعلمهم كتاب الله وسنة رسوله و، كان وارثا لرسول الله ﷺ، ولهذا كان العلماء الربانيون، ورثة الأنبياء؛ لأنهم يرثونهم في أممهم، يعلمون الأمم ما خلفه الرسل من العلم والهدى، ويدعونهم إلى الخير، ويعينونهم على البر والتقوى.

6ـ أن القرآن والسنة مشتملان على الحكمة، والحكمة هي: وضع الأشياء في مواضعها، بحيث تكون الأحكام مشتملة على ما تكون فيه المصالح، وتدرأ به المفاسد.
ـ فضيلة العلم؛ لقوله: «ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون »، حتى
انتقلت أمة العرب من أمة أمية جاهلية، إلى أمة عالمة متقدمة. هـ أنه ينبغي للإنسان أن يذكر الناس بنعمة الله عليهم في إرسال محمد ﷺ، الذي يتلو علينا آيات الله، ويزكينا، ويعلمنا الكتاب والحكمة، ويعلمنا ما لم نكن نعلم.

سورة البقرة

١٥٤

قال الله - تعالى -: « فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون »
[البقرة: ١٥٢].
أمر الله ـ تعالى ـ بذكره، وبين ثوابه وجزاءه، فقال: «فاذكرون»،
وهذا أمر بالذكر.

وأذكركم»، وهذا الثواب والجزاء.
واشكروا لي »، أي: اشكروني على ما أعطيتكم من النعم. ولا تكفرون» فتجحدوا نعم الله عليكم.

في هذه الآية من الفوائد والأحكام ما يلي: 1ـ الأمر بذكر الله، وذكر الله ـ تعالى ـ ينقسم إلى

قسمين:ذكر واجب، وذكر تطوع ليس بواجب، فالصلاة ـ مثلًا ـ من الأذكار الواجبة، وهي متضمنة لذكر الله ؛ لأن فيها قراءة القرآن، وفيها الركوع والسجود، والقيام والقعود، والتسبيح والتعظيم الله ـ عز وجل ـ ودعاء الله ـ عز وجل ـ، والنوع الثاني: ذكر تطوع؛ كالتسبيح، والتهليل، والتكبير، والصلوات النافلة.

وينقسم الذكر من وجه آخر إلى قسمين: ذكر بالجوارح: كالأقوال والأفعال، وهذا يقع من المؤمن والمنافق. وذكر بالقلب: وهذا لا يقع إلا من المؤمن.
٢ـ أن جزاء الذاكرين الله أن يذكرهم الله، وقد ثبت في الحديث

١٥٤٢

أحكام من القرآن الكريم

الصحيح: أن الله - سبحانه وتعالى ـ قال: «من ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملإ، ذكرته في ملإ خير منهم»)، وهم: الملائكة. وعلى هذا فينبغي للإنسان الإكثار من ذكر الله - عز وجل -، والمؤمن يمكنه أن يكون ذاكرا لله ـ تعالى ـ دائما، وذلك بأن يشاهد نعمة الله عليه؛ فإن نعم الله - سبحانه وتعالى ـ على العبد لا تحصى، كل نعمة أنعم الله - سبحانه وتعالى ـ بها عليك، فإنها تذكرك بالله ـ عز وجل -، وبإحسانه وبفضله وإنعامه؛ ولهذا أثنى الله ـ تعالى ـ على الذاكرين على كل حال، فقال: « إن في خلق السموات والأرض واختلف اليل والنهار لايت لأولى الألبب له الذين يذكرون الله فيما وقعودا وعلى جنوبهم*[آل عمران:١٩٠-١٩١]، وقال الله ـ تعالى ـ: (يأيها الذين ءامنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلًا * ﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢]. ٣ـ وجوب شكر الله - عز وجل -، وذلك بالقيام بطاعته، وصرف
نعمه إلى ما أمرنا الله بصرفها إليه، فلا نستعين بنعمه على معصيته. ٤ـ تحريم كفر النعمة؛ لقوله: «ولا تكفرون). فنسأل الله ـ تعالى ـ أن يعيننا على ذكره، وشكره، وحسن عبادته؛ إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

م
(١) « رواه البخاري كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (ويحذركم الله نفسه * رقم (٧٤٠٥)، ومسلم كتاب الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله، رقم (٦٧٥ ٢).

سورة البقرة

قال الله ـ تعالى ـ: (يأيها الذين ءامنوا أستعينوا بالصبر والصلوة إنّ
الله مع الصابرين ۞ [البقرة:153].
قوله: «يأيها الذين امنوا»؛ هذا نداء من الله ـ عز وجل ـ وجهه إلى المؤمنين بوصف الإيمان، وهو الوصف العظيم الذي يعتز به كل مؤمن، وهو لا شك وصف تكريم وحث وإغراء؛ ولهذا قال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «إذا سمعت الله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول: «يتأيها الذين ءامنوا»، فأرعها سمعك، فإما خير تؤمر به، وإما شر تنهى عنه»، وإذا صدر الله الخطاب بهذا النداء، فإنه يستفاد منه

ثلاث فوئد:

٥٤٣

الأولى: أهمية ما سيوجه إلى المؤمنين.

الثانية: أن امتثال ما سيوجه إليهم من مقتضيات الإيمان. الثالثة: أن مخالفته نقص في الإيمان.
يأيها الذين ءامنوا أستعينوا بالصبر والصلوة »، أي: اطلبـــــوا
العون بالصبر والصلاة:
الصبر على الأمور، ومصابرتها: إن كانت من المأمور بها، فأن تصبر على أداء ما أمرت به، وإن كانت من المنهي عنها، فأن تصبر على اجتنابك لها؛ وذلك لأن النفوس ضعيفة، قد تشق عليها الأوامر، فتتراجع وتنسحب، ولا تكمل الواجب، وقد يشق عليها اجتناب النواهي، فتعجز عن الصبر، وتنتهك المحرمات؛ فلهذا أمر الله -

= ١٥٤٤

أحكام من القرآن الكريم

سبحانه وتعالى - بالصبر: «أصبروا، والاستعانة به، وما أعطي الإنسان عطاء أحسن وأوسع من الصبر؛ فإن الإنسان إذا صبر وعود نفسه على الصبر، خفت عليه الأمور.
وأما الاستعانة بالصلاة: فإن الإنسان يقف بين يدي الله ـ عز وجل ـ يناجيه بكلامه، ويتقرب إليه بالثناء عليه ويدعوه، قال النبي : «وأما السجود، فأكثروا فيه من الدعاء؛ فقمن أن يستجاب لكم»، فالصلاة تعين الإنسان على شدائده، ويذكر عن النبي ﷺ أنه كان إذا حزبه أمر

فزع إلى الصلاة").
ثم قال ـ تعالى ـ: «إن الله مع الصبرين؛ وهذا ترغيب في الصبر؛ لأن الإنسان إذا علم أن الله معه، سهل عليه معالجة نفسه بالصبر. في هذه الآية من الفوائد والأحكام ما يلي: ا- فضيلة الإيمان، وأنه وصف ينبغي للإنسان أن يعتز به؛ لقوله - تعالى -: «يأيها الذين امنوا).
٢- أن يستعين الإنسان على أموره بالصبر.
٣- جواز الاستعانة بغير الله، فيها يكون سببا للعون؛ لأنه قال:

(ا) رواه مسلم كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، رقم: (٤٧٩) بلفظ : «فاجتهدوا في الدعاء» .
(٢) رواه أحمد (٢٢٧٨٨)، عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ، قال: (كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى)، وأبو داود كتاب التطوع، باب وقت قيام النبي ﷺ، رقم (١٣١٩).

سورة البقرة

٥٤٥

واستعينوا بالصبر والصلوة »، وهذه استعانة مقيدة غير متعبد بها.أما الاستعانة المطلقة المتعبد بها، فلا تكون إلا الله وحده؛ لقوله ـ تعالى ـ: إياك نعبد وإياك نستعين ﴿ [الفاتحة:5].

٤- فضيلة الصبر، وأنه عون للإنسان على مهات أموره، وهذا شيء مجرب؛ فإن الإنسان قد يستثقل أن يقوم في آخر الليل؛ ليتوضأ بالماء البارد ويصلي في البرد، وفراشه أدفأ له، ولكن نقول: اصبر، اصبر على هذا، واحتسب الأجر، وكذلك ربا يشق عليه أن يتردد إلى المسجد، فنقول: اصبر واحتسب، وربما يشق عليه أن يصوم، فنقول: اصبر على الجوع، اصبر على العطش؛ فإن هذا كله خير لك، وكذلك إذا نزلت به مصيبة فصبر وانتظر انكشافها، هانت عليه. 5- أن الإنسان إذا حزبه أمر، واشتد عليه، فليفزع إلى الصلاة؛ لقوله : (وأستعينوا بالصبر والصلوة ؟.
الاختلاط،
6- فضيلة الصلاة، وفوائدها، ومن تأمل الواقع، وجد أن للصلاة تأثيرا بالغا في تنشيط الإنسان وتقويته، وتسهيل الأمور أمامه. 7- إثبات أن الله
مع
الصابرين، والمعية هنا لا تقتضي
يعني: لا تقتضي أن يكون معهم في أماكنهم؛ فإن الله ـ تعالى ـ منزه عن ذلك، وهو ـ سبحانه

وتعالى ـ فوق كل شيء، كما قال الله - تعالى -: وهو القاهر فوق عباده، ﴿ [الأنعام: ١٨]، لكن هذه المعية تقتضي: النصر والتأييد والتثبيت، وهذه معية خاصة، وأما المعية العامة لكل أحد

فتقتضي: الإحاطة بالخلق؛ علما وقدرة وسلطانا، وغير ذلك من معاني ربوبيته ـ تعالى ـ كقوله ـ تعالى ـ: « يعلم ما يلج في الأرض وما تخرج منها
وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير [الحديد: 4].
٨ - الترغيب في الصبر؛ لأن قول الله ـ تعالى ـ: «إن الله مع الصبرين»، يراد به ـ مع إثبات المعية ـ الحث على الصبر، والترغيب

وللصبر فوائد كثيرة:
منها: الأجر الكثير؛ فإن الله ـ تعالى ـ قال: « إنما يوفى الصبرون أجرهم بغير حساب ﴾ [الزمر:10].
ومنها: ترويض النفس على الانضباط، والحكمة، وعدم الملل؛ وذلك أن الإنسان لا بد أن يفعل، فإذا صبر على الفعل الذي هو متلبس به، لعلمه بفائدة الاستمرار فيه، فقد روض نفسه على معاناة الأمور وتحملها.

ومنها: أن الصبر سبب لحسن العاقبة؛ لقول الله ـ تبارك وتعالى -: تلك من أنباء الغيب توجيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فأصبر إن العقبة للمتقين ﴾ [هود:٤٩].
ومنها: أن الله مع الصابرين، وهذه أعظم فائدة: أن يكون الله
معك؛ فإنه من كان الله معه، فإنه منصور.

ومنها: أن الإنسان تهون عليه المصائب، فيما إذا أصيب بمصيبة، ثم صبر واحتسب؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «مرها فلتصبر ولتحتسب؛ فإن الله ما أخذ وله ما أبقى، وكل شيء عنده بأجل

مسمى

(١)(

قال الله ـ تعالى ـ: (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموت بن أحياء ولكن لا تشعرون (* [البقرة: ١٥٤].

في هذه الآية ينهى الله - سبحانه وتعالى ـ عباده المؤمنين أن يقولوا للذي يقتل في سبيل الله : أموات، أي: أن يقولوا في شأن هؤلاء: إنهم أموات، ومعلوم أن من قتل في سبيل الله، فقد مات حتها؛ ولهذا يدفن في الأرض، كما يدفن غيره من الأموات؛ لأن روحه فارقت جسده، لكن هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله، في الواقع: أحياء حياة برزخية ليست كحياة الدنيا المادية الحسية.
بل أحياء ولكن لا تشعرون»؛ لأن حياتهم من عالم الغيب، وعالم الغيب لا يمكن أن نشعر به في عالم الشهادة، لكن يجب علينا أن نؤمن بكل ما أخبر الله به من أمور عالم الغيب؛ لأنه صادر عن أعلم العالمين، وأصدق القائلين، وهو الله - سبحانه وتعالى ـ.

(١) رواه البخاري كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «لا يعذب الميت ببعض بكاء أهله»، رقم (١٢٨٤)، ومسلم كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، رقم (٩٢٣).

=

١٥٤٨

أحكام من القرآن الكريم

في هذه الآية من الفوائد والأحكام، ما يلي:
١ـ نهي المسلم أن يقول لمن قتل في سبيل الله : إنه ميت، هذا إذا قلنا: إن القول: قول اللسان، أما إذا قلنا: إن القول قول القلب ـ يعني: اعتقاد القلب ـ فإنه لا حرج أن نعتقد أنه مات ميتة حسية؛ لأن ذلك هو الواقع، لكنهم أحياء عند الله ـ تعالى.

٢ـ فضيلة من يقتل في سبيل الله؛ لقوله ـ تعالى ـ: «بل أحياء،
أي: بل هم أحياء.

3- جواز إطلاق الوصف باعتبارين؛ فإن الذين قتلوا في سبيل الله أموات باعتبار الحياة الحسية؛ لأن أرواحهم فارقت أجسادهم، لكنهم أحياء باعتبار الحياة البرزخية، فهم أموات من وجه، وأحياء من وجه آخر، وذلك لاختلاف الأحوال، ولكن لا نصفهم بالوصف الأدنى، وهو الموت.

4ـ أن علم الآخرة غير مشعور به؛ لقوله ـ تعالى -: (ولكن لا تشعرون »؛ لأنه أمر غيبي لا يمكن إدراكه حسا.

هـ أن عذاب القبر أو نعيم القبر أمر لا يطلع عليه، هذا هو الأصل، لكن قد يطلع الله عليه من شاء من عباده، كما أطلع الله نبيه محمدا ﷺ، على الرجلين اللذين كانا يعذبان في قبريها، حيث قال: «إنها ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما: فكان لا يستبرئ من

سورة البقرة

١٥٤٩

البول ـ أو قال: لا يستتر من البول ـ وأما الآخر : فكان يمشي
بالنميمة»).

6ـ قصور علم الإنسان؛ حيث يكون الذي قتل في سبيل الله عنده حيا، وهو لا يشعر بحياته، وهذا يدل على نقص علم الإنسان، وهو كذلك؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا *
[الإسراء:٨٥].

**

قال - تعالى -: « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصبرين ۞ [البقرة: 155]. في هذه الآية يؤكد الله - سبحانه وتعالى ـ أنه سيبلو عباده «بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات »، كلها فيها
الابتلاء والامتحان، ويؤكد الله - سبحانه وتعالى ـ ذلك بثلاث مؤكدات: اللام، ونون التوكيد، والقسم المقدر؛ لأن تقدير الكلام: والله لنبلونكم بشيء من الخوف، وهو: الذعر، سواء أكان هذا الخوف من عدو حقيقي ماثل أمام الإنسان، أو من عدو غير معلوم: كالخوف الذي يلقيه

الشيطان في قلب الإنسان؛ كما قال ـ تعالى ـ: « إنما ذلكم الشيطن خوف أولياءه ﴾ [آل عمران:175]، أي: يخوفكم أولياءه.

(١) رواه البخاري كتاب الوضوء، باب ما جاء في غسل البول، رقم (٢١٨)، ومسلم كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، رقم (٢٩٢).